شذرات في الحياة :

١ ـ عبقرية الكذب !

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

أقبل صاحبي وعلى وجهه تجهم الغضبة ، وتكشر الوثبة ؛ فقلت : حسبك ! ، ماذا دهاك ؟

قال : أحسبك تعمق في التحليل كعادتك ، حتى يكاد التكلف يلحق بتفكيرك

قلت إني أكلف بالمعرفة . وأبغض التكلف ، ويشفعني إحالة المظهر الى المنطق، فإذا كنت مغيظا، سأكون داعما فاتظك !

قال : مادمت تحلل نفسية الكاذب ، فلا أجد حبيبا إلى قلبي سوى إغاظتك لي !

قلت : وما الإصر الذي أثقل نفسك حتى جعلك مثقلا بالهموم ؟

قال : إن الكذوب يسخر مني ، ويحسبني في غفلة !

قلت : في مقدورك أن تحيله إلى غفلته ؛ فيكون هو المغفل !

قال : هأنت ذا تعمد إلى الإبهام حتى تغمض عين أسلوبك!

قلت : ليس ثمة غموض ولا إغماض ؛ فالأمر أيسر من أن تملأ به تفكيرك السليم ؛ فالكذب «تعمية» ، ولا يعمى الأمور سوى الضعيف المتهافت على الخداع ، لأنه يرى في أحماله « غموضا » ، ويخشى أن ينكشف هذا الغموض الذي يستقل به إحساسه . فما أشبهه بالتلصص الذي يريد السرقة على ضوء مصباحه ؛ لأنه يسرق نفسه ، ويغش حسه ، في حين يعتقد أنه موهم وهو واهم !

قال : أغريزة الكذب ؟ أم خليقة مصنوعة ؟

قلت : لقد قرأت هذه ، لكن لم يرضني ما قرأت . وليس ذلك غرورا ؛ فإن المنطق أساس المعرفة في عقدي ، والكاتبون لم يطلوا إلا من نوافذ نفسية ضيقة محيلين الواقع إلى الافتراض، والتخيل ، والوهم ، مع أن الحقائق الإنسانية يمكن استقاؤها من أسلوب السلوك ، والكذب مظهر من مظاهره ؛ فلا بد أن يكون هناك ارتباط بين حياة الكاذب وطبيعة إعداده ، وتكوينه ، وتنشئته، والحياة لم تمنح الأفراد منحها على غرار واحد ؛ فنشأ « الحرمان » الذي يوجد في النفوس المحرومة ثغرات تتسع كلما تقدمت الأيام بهذه النفوس ؛ والمنطق الطبعي يجعل سلوك المحرومين ذا شذوذ نؤاخذه عليهم في الوقت الذي نضفي فيه ولا نؤاخذ أنفسنا عليه

قال : أتظن « الكذب » قدرا مشتركا بين الأفراد ؟

قلت : لا أقول مقولي على الإطلاق ، وإنما أسوقه في مساق التحليل الإنساني كوحدة مرتبطة الأجزاء في كل نفس بشرية ؛ فأنت قد تأخذك شهوة الكذب إلى التوريط في أمر لا تحبه ؛ وقد يخلصك من مأزق تأزمت به نفسك !

قال : لكني أسألك عن الكذوب الذي يهوى الكذب لذاته . .

قلت : إن التهافت على الرغبات منذ تحبو الغرائز في صدر الإنسان لا تجد من يحد من حدتها ، فتقود صاحبها إلى تحقيق هذه الرغبات في الواقع أو التوهم لإشباع التهافت ، وتحقيق الكيان الوجودي !

وقلت : لا تحسب الكاذب يصطنع الحقائق ، وإنما تصورها « أحلام يقظته » فيريد تحقيقها بحسب ما ترى هذه الأحلام ، وهو يجد لذة كبيرة تنزيه عن الحرمان ، وتدنيه من المتعات البعيدة ..!

قال : كأنك تمهد الكذب ، وتوجه الكذابين ...

قلت : رويدك !.. أما تعرف من نطلق عليهم اسم

« الفشارين » . ؟

إنى أتجه بتحليلى إلى هذا الصنف من الناس ؛ فهم ظراف ، لطاف ، بحابيح يرفهون عنا بأكاذيبهم أعباء الحياة ، ويحلقون بأجنحة أخيلتهم حتى يرتفعوا عن دنيا الحقائق المرة إلى الرؤى الحالمة ، والمرئيات الوهمية ، فهم يشبعون على مسغبة ، ويبلون الربق على ظمأ ، ويغنمون مع حرمان !

قال : لكنهم يضايقوننا فى اصطناع ما ليس حقيقة

قلت : أسائلك بحقك . ألم تأخذك « البحبحة » فى بعض أمرك ، فتترك نفسك على السجية ، فتدعى أنك أكلت « الديك الرومى » وأمعاؤك تكذبك

وتقول : لقد أفرقتنا فى شراب المدس ؟!

قال : ليس التفكه مقام بحثنا ، فصور لى مدى سخرية الكاذب من سامعيه

قلت : إن الكذب على الأسلوب الذى صورته لك هو القدر المشترك بين سائر الناس ، والكذاب « المبقرى » هو الذى يمكنه قيادة العقول إلى تصديق ما يقول ، ولست محبذا خليقة الكذب على الإطلاق ، لأنها قائدة كل رذيلة من الرذائل ، ومدعاة إلى النفور ، وعدم الثقة ، وشناعة السمعة

لكنى أقول : إن الكاذب « المتعمد » فى كذبه الذى يبغى الإضرار بالناس ، والاستخفاف بهم ، والنيل منهم ، وإلغاء عقولهم ، يجب أن تلطم أكاذيبه بالتسفيه ، والزجر ، والتحقير ، والتزييف ، وقد نعتوا الكذب قديما بأنه لاذاكرة له ، والصدق يتبع الأسلوب المنطق فى صحة نتائجه ومقدماته ، والكذوب مضطرب القول يذكر الشئ ونقيضه فى وقت واحد ، لأن الزمن لا يجمع السلب والإيجاب مرة واحدة ، فالواقع أن الكذاب « مغفل كبير » لكنه يغفل كثيرا مما يسوق من حقائق ملفقة ، وأحاديث موهومة ، فيثبت آنا ، وينفى ما أثبته آنا ، وهو فى الحالين مضطرب النفس ، ممذب الإحساس ، يود فى قرارته أن يفصح عن الحق ، ولكن تمنعه «رغبته» فى الكذب من الانحياز إلى الوقائع الصحيحة السليمة

قال صاحبى : وكيف تنسبه إلى التغفيل ؟

قلت : الأمر سهل ! كر على قوله بالزيف ، وذكر ذاكرته الغافلة عما يسوق من تخالف ، وتباين ، وتناف ، فتسخر من سخريته وتريح نفسك ؟

قال : كم أنا مغيظ من الكذاب الأشر !

قلت : هون عليك !... ثم قل لى : أليست حياتنا أكذوبة كبيرة . ؟!

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف برر

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع إحدى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد